الباب الأول

مقدمات الخامس والعشرين من يناير وأحداث المخاض

obeikandl.com

فترة حكم مبارك

عاشت مصر أثناء حكم مبارك مرحلة من تاريخها الممتد عبر آلاف السنين تعتبر متميزة نوعًا ما، حيث لم تدخل مصر فى هذه المرحلة حربًا تدافع بها عن حدودها مثلما حدث فى الستين عامًا الماضية حيث خاضت مصر أربع حروب كبيرة مع العدو الإسرائيلى واحدة منها فقط وهى حرب عام ١٩٤٨ كانت للدفاع عن فلسطين والثلاث الأُخرى وهى حروب عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وأخيرًا عام ١٩٧٣ كانت للدفاع عن حدودها، وقد انهزمت مصر فى الحروب الثلاث الأُول وفازت فى الحرب الأخيرة وهى حرب العبور (العاشر من رمضان)، وقد تكلفت هذه الحروب الأربع الكثير وأنهكت ميزانية مصر كثيرًا، وجعلت الشعب المصرى يُحسب من أفقر شعوب العالم رغم كثرة موارده، ولكنها الحرب وتكلفتها، وفى نهاية عهد الرئيس السادات وقعت مصر إتفاقية السلام مع إسرائيل، ومن أهم نتائج هذه الاتفاقية أن مصر لم تدخل حربًا مع إسرائيل فى الثلاثين عامًا الماضية وهى فترة حكم مبارك، وإذا أسندنا إتفاقية السلام إلى فترة مبارك فيكون من مظاهر فترة حكمه عدم خوض مصر أى حروب للدفاع عن أراضيها، ونستثنى طبعًا حرب تحرير الكويت التى إستفادت مصر منها ماديًا حيث أسقطت أمريكا ديون مصر كلها فى ذلك الوقت.

ورغم عدم خوض مصر أى حروب دفاعية في عهد مبارك، ورغم بيع القطاع العام وتحويله إلى قطاع خاص إلا أن حالة الفقر مازلت موجودة، والشعور بالضائقة المالية للشعب المصرى تزداد ضيقًا والمًا.

وسط هذا الشعور بالفقر، والضائقة المالية، وانتشار البطالة

بين الشباب نتيجة بيع القطاع العام، وانتشار ثقافة القطاع الخاص وما واكبه من فساد ومحسوبية وعدم انتماء، حتى أن المصريين بدأوا يشعرون أن مصر ليست بلدهم بل هى بلد الأغنياء والفاسدين والمحسوبين على النظام، ومع كل هذا التردى انتشر الفساد السياسى حيث تحكم الحزب الوطنى حزب الأغلبية بالفساد والتزوير فى مقادير البلاد وأصبحت مصر عزبة يرتع بها النظام وأبنائه وأتباعه ولا حياة لمن تنادى .

وكان كل المراقبين ينتظرون ثورة للجياع فى مصر تأتى على الأخضر واليابس خصوصًا بعد أن ظهر التوريث و بزوغ نجم جمال مبارك ودخوله ساحة السياسة طمعًا فى حكم البلاد، رغم معارضة جموع الشعب المصرى للتوريث و للتمديد أى تمديد حكم مبارك، ولأن نظام مبارك انشغل بجمع المال والعمولات وانشغل عن مصر وحكم مصر، فقد أصبحت مصر مطمعًا لكل القوى العظمى التى تخشى على مصالحها فى مصر، وكذلك إسرائيل التى تؤيد استمرار نظام الحكم لمبارك، فبدأت كل هذه القوى فى التخطيط لما بعد مبارك، كلُ حسب إمكانياته وأغراضه، وبدأت هذه القوى تستكشف جمال مبارك وغيره من الوجوه حتى تتعرف على الوجه الجديد للحكم فى مصر، حتى أن أمريكا بدأت اتصالاتها مع الإخوان المسلمين فى مصر. وبدأنا نسمع عن تكوين حركات معادية لمبارك ولجمال مبارك، وحركات تؤيد أى وجه قادم غير وجه مبارك وآل مبارك، وبدأنا نسمع عن ترشيحات لعمرو موسى وعن عودة للبرادعى، وكذلك بدأت المعارضة المصرية تجذب الشباب عن طريق الانترنت ذلك الوحش الكاسر ذو التأثير القوى فبدأنا نسمع عن حركة كفاية وحركة ٦ إبريل وحركة كلنا خالد سعيد، وكذلك بدأ التيار الإسلامى

يستعد لما بعد مبارك وكأن الجميع ينتظر لجبر موت مبارك حتى يبدأ فى التحرك، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، ولكن الرياح هذه المرة أتت بأكثر مما تشتهى السفن، فقد بدأ الشباب مظاهراته وتجمعاته وبدأ ما يسمى بمظاهرات الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ والتى وفى أحسن التوقعات لأكثر المتابعين تفاؤلاً أن أقصى ما يمكن توقعه من نتائج هو أن يتغير رئيس الوزارة فى مصر، وذلك كان أقصى أمانى الجميع، ولكن حدث ما لم يتوقعه الجميع، فماذا حدث ؟؟

أحداث الغضب فى الخامس والعشرين من يناير

إن أحداث أيام الغضب فى مصر والتى عشناها جميعًا كانت ناقوسًا ينذر بالخطر للجميع حكومة ومعارضة مواطنين وحكامًا، ذلك الخطر الذى لم ننتبه إليه جميعًا رغم أنّ عواقبه كانت خطيرة ومؤلم.

وأول هذه العواقب، هى أن الآلاف الذين لجرجوا يوم الغضب كانوا هذه المرة من عامة الشعب وأكثرهم من الشباب الذين استهوتهم تكنولوجيا المعلومات الحديثة ففجروا بركانًا كان نائمًا فاستيقظ فى قلوبهم وهو سهولة التواصل ونقل المعلومة، وهى ثورة بكل المقاييس لو تم استعمالها جيدًا.

وثانى العواقب، هو موقف رجال الأمن وخصوصًا الجنود البسطاء الذين كان لهم موقف شاهده الجميع وهو عدم البدء بالعنف فكانت المظاهرات فى بدايتها صورة مشرقة لمصر وأبنائها مواطنين ورجال أمن ، وهنا تظهر صورة أخرى وهى موقف الأمن وتأثيره على المعادلة وهو موقف خطير لو كان تم التعامل معه بحنكة وشفافية .

وثالث هذه العواقب، هو تعامل الإعلام الخارجى مع أحداث مصر، وكأن الجميع كان ينتظر الانفجار وينتظر الفوضى فى مصر، وهى نتيجة كانت واضحة فى تعامل الإعلام غير المصرى مع الأحداث، وتثبت أن هناك من يتربص بمصر شعبًا ودولة .

وآخر العواقب، هو موقف الغالبية العظمى من الشعب المصرى المكافح فى سبيل لقمة العيش والذى كان ومازال عند موقفه، وهو موقف المتفرج غير المشارك وإن كان يؤيد ما تنادى به المظاهرات، وهو موقف راهنت عليه الحكومة فى ذلك الوقت وكان رهانًا خاسرًا، وهو أن الغالبية من الشعب المصرى مشغول بلقمة العيش وبذلك فلن يشارك فى المظاهرات، وهو موقف قد تغير تمامًا حيث خرج الشعب بالملايين وهنا تغيرت المعادلة تمامًا .

إن جماهير الشعب المصرى فى ذلك الوقت كانت تطالب الجميع حكومة و ثوارًا جيشًا وشرطة أن يضعوا نصب أعينهم مصر وسلامة مصر وأمن مصر، وألا ننسى أننا شعب له تاريخ عريق في الحضارة لا شعب التخريب، شعب الإيمان لا شعب الكفر، شعب الحب لا شعب الكراهية، وعليه فيجب على الجميع أن يتقوا الله فى مصر وشعب مصر و أن يحافظوا على مصر وأبناء مصر .

عودة البرادعى ومشاركته فى أحداث أيام الغضب

فى خضم أحداث أيام الغضب فى الخامس والعشرين من يناير وما بعدها التى كانت تعم مصر، وذات فجأة تُعلن الأخبار أن الدكتور محمد البرادعى رئيس الجمعية الوطنية للتغيير والمعارض النشط فى الساحة المصرية قد قرر العودة سريعًا إلى القاهرة من فيينا حيث

يقيم ليشارك فى مظاهرات الغضب مع جماهير الشباب المصرى الغاضب فى ميدان التحرير، وقد أثارت عودة البرادعى الكثير من التساؤلات، فالمؤيدون للبرادعى من أعضاء جمعية التغيير وبعض أعضاء حركة كفاية هللوا لعودة البرادعي واعتبروه رجل الوقت وأن عودته ستشجع الشباب الغاضب على الاستمرار فى المظاهرات حتى يرضخ النظام، وقد يسلم الحكم للبرادعى، وبعض أعضاء المعارضة رأوا فى عودة البرادعى كمن ركب الموجة وجاء ليأكل الكعكة، وأما الحكومة فقد ارتابت فى عودة البرادعى، وإن كانت لم تستطع أن تمنعه من العودة خوفًا من الرأى العام العالمى، وهكذا أحدثت عودة البرادعى المفاجأة والكثير من التساؤلات، وانتظر الجميع مشاركته فى مظاهرات يوم الجمعة وأسموها جمعة الغضب.

إن البرادعى وكما يقول البعض من الحكومة ومن المعارضة ورقة تم حرقها لأنه أدى دوره وكفى، وأن الأيام القادمة ليست أيام البرادعى، وعلى الجانب الآخر يقول البعض من المعارضة أن البرادعى يشكل فى الوقت الحالى رمزًا تلتف حوله جماهير المظاهرات بشتى أنواعها وهو هنا يمثل حلقة الاتصال وبؤرة التجمع، وسواء نجح البرادعى فى قيادة مظاهرات الجمعة الغاضبة أو لم ينجح فالموقف كله فى يد الجماهير الغاضبة وهل هذه الجماهير تريد رمزًا تلتف حوله أم أنها المحرك وهى فى النهاية صاحبة الحق فى الدفاع عن حقها .

إن الأيام ستثبت هل عودة البرادعى كانت هى الحل أم لا ؟ ولكن الأيام لم تمهل الشعب المصرى الكثير من الوقت، فسريعًا ما تلاحقت الأحداث ولم يكن البرادعى فى هذه الأحداث إلا رمزًا يلتف حوله الشباب، ولكن معظم الشعب المصرى كان ينتظر رمزًا آخر يستطيع أن يجمع كل طوائف الشعب، وهكذا ورغم نجاح البرادعى

فـى أن يحرك الميـاه الراكدة إلا أنه لم يرو عطش الشـعب كقائد له وكرمـز، والحقيقـة أن الدكتـور البرادعى سـيذكر له التـاريخ أنه كان الرمز الذى أشـعل أول شـرارة للمقاومة ضد نظام مبارك، ومهما كان دور البرادعـى وعلاقاتـه مـع الجماعـات السياسـية الداخلية فى مصر أو الخارجية خارج مصر إلا أنه سـيظل رمزًا لأول شرارة للمقاومة ضد نظام مبارك .

ذروة الأحداث فى أيام الغضب

فى مشـهد مهيب، وفى ساعة من سـاعات الحزن الكئيب، اختلط الحابـل بالنابـل وأصبح ميدان التحرير بالقاهرة أشـبه بسـوق عكاظ حيـث تداخلت الآلاف المؤلفة من المعارضين للنظام مع بضع مئات من المؤيديـن للنظام وحولهم الجيـش، وقد كان الجيش قد تدخل بأوامر مـن مبـارك لضبط الأمن والتحكم فى المظاهـرات بعد إعلان النظام فـى ذلك الوقت تغيير الوزارة، وتعيين اللواء عمر سـليمان نائبًا للرئيس منهيًـا بذلك حلم التوريث ،وإعلان حظر التجول فى المدن الرئيسـية، ولكـن الجيـش كان لـه موقف آخـر والذى بـدا واضحًا أنـه يقف مع الشـعب المصـرى وأغلبيتـه ضد الفسـاد وأعوانـه فى صـورة ذكرتنا بمواقف الشعب المصرى فى المائة عام الماضية.

فنتذكر هبة الشـعب المصرى عام ١٩١٩ وهـو ينادى بعودة الزعيم سـعد زغلول الذى أخرجه الإنجليز من مصر، ووقفة الشـعب المصرى وهـو يواجه الاحتلال وقواته حتى يعود سـعد زغلول ويسـتقبله الشـعب بالأسكندرية فى لحظة فارقة في تاريخ نضال الشعب المصرى.

ونتذكر أيضًا وقفة الشعب المصرى مع جيشه الباسل فى حركته

المباركة فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ وتأييده للثورة وخلع الملك فاروق عن مصر وتعيين ابنه الأمير أحمد فؤاد ملكًا على مصر بدلاً من والده.

ونتذكر خروج الشعب المصرى ليلة التاسع من يونيو ١٩٦٧ وبعد أن أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تنحيه عن السلطة وتحمله مسئولية هزيمة ٦٧ وكيف أن الشعب المصرى رفض الإعتراف بالهزيمة فى صورة رفض تنحى الرئيس عبد الناصر وإصرار الشعب على إعادة بناء الجيش والاستعداد لحرب التحرير.

ونتذكر غضبة الشعب المصرى وبعد أن فاجأته نتائج نكسة يونيو٦٧ وفداحة الخسائر فغضب غضبة كبيرة ضد أحكام ما يسمى بقضية الطيران حيث تظاهر الآلاف من العمال والطلبة فيما يسمى بمظاهرات عام ١٩٦٨ وكيف أن النظام فى ذلك الوقت رضخ للشعب وأعلن عبد الناصر التغيير فى بيان ٣٠ مارس عام ١٩٦٨ .

ونتذكر مظاهرات الشعب المصرى فى تأييده للرئيس أنور السادات ودعمه له ضد مراكز القوة التى فتكت بمصر وبشعب مصر فيما عرف بثورة التصحيح مايو ١٩٧١.

ونتذكر وقوف الشعب المصرى بجانب قواته المسلحة فى حربها المقدسة حرب أكتوبر ٧٣ وكيف أن الشعب المصرى تحمل كل التضحيات أثناء الحرب فلم نسمع عن شغب هنا أو تذمر هناك رغم قسوة الحياة وشظف العيش إلا أن الشعب والجيش كانا يدًا واحدة.

ونتذكر مظاهرات الشعب المصرى وخروجه ضد النظام فى عام ١٩٧٧ فيما عرف بمظاهرات ١٨ و ١٩ يناير وكيف أن الشعب أرغم السلطة على إلغاء زيادة الأسعار وعودة الدعم.

ونتذكر مظاهرات الأمن المركزى التخريبية فى عام ١٩٨٦ ووقوف الشعب والجيش مع الرئيس مبارك ودعمه لمصر وأمن مصر فى ذلك الوقت .

ونتذكر وقوف الشعب المصرى وفرحته بعودة سيناء فى عام ١٩٨٢ وبعودة طابا فى عام ١٩٨٧ وتأييد الشعب للرئيس مبارك فى كفاحه لعودة طابا وعدم التفريط فيها.

وهنا تظهر صورة من صور شخصية شعب مصر، فالشعب يريد أن يقول أنه ليس مع النظام (أى نظام حاكم فى مصر) فى فساده وتهاونه مع شعبه والوصول بمصر إلى ما نحن فيه الآن، وليس مع المعارضة فى تخريب كل منجزات مصر واظهار مصر وكأنها مستعمرة للفساد، وهو أيضًا ليس مع التطاول على الرئيس (أى رئيس) لأن هذا التطاول ليس من شيم مصر وأبناء مصر، ولنا فى خروج الملك فاروق من مصر ذلك الخروج المشرف اللائق بمصر كل عبرة .. إن شعب مصر مع مصر.

وخلاصة القول أن بركان الغضب قد انفجر داخل الشعب المصرى، وأن رفض التمديد للنظام بقيادة مبارك قد أعلنه الشعب، وأن رفض التوريث لجمال مبارك قد أعلنه الشعب وأن الجميع ينتظر ما تأتى به الأحداث؟.